النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

مظاهرة المفكرين ...

قامت في اواخر الشهر الماضي بباريس مظاهرة فرنسية « ضد السياسة الفرنسية في الجزائر » اشترك فيها زهاء ستمئة رجل كان عدد منهم من الفكرين الفرنسيين الاحرار ، على راسهم جان بول سارتر وفرنسوا مورياك وكلود روا ولويس ماسينيون واندريه فيليب وروبير بارا وتريستان تزارا وهيلين بارملين وكوليت أودري وبريجيت غرو وجيل مارتينيه وسواهم ...

وقد سارت هذه المظاهرة عدة دقائق بعد ان تجمعت في محلة « الباليه رويال » واتجهت الى ميدان الاوبرا في وسط باريس ، ثم فرقها رجال الشرطة وقبضوا على بعض زعمائها ثم اطلقوا اسراحهم . وقد اراد هؤلاء المتظاهرون ان يقيموا الدليل على انهم لا يريدون الاكتفاء بالاحتجاج والمؤتمرات ، وهذا الشعور هو شعور جميع الشباب .

وقد علقت الصحف الفرنسية تعليقات مختلفة على هذه المظاهرة « الفكرية » واستهزأ بعض الكتاب الاستعماريين باشتراك عدد من كبار الادباء بها ، وتساءل بعضهم عن الفائدة التي يمكن ان تجنى من مثل هذه المظاهرات ...

وقد كتب الاديب الفرنسي الكبير فرنسوا مورياك مقالا هاما بعنوان « المظاهرة الصامتة » (١) تحدث فيه عن مغزى هذه المظاهرة ، وكان مما قاله :

« ان هؤلاء الخمسمئة او الستمئة الذين كانوا يتقدمون صامتين على احدى جادات باريس ، انما انتدبهم لذلك آلاف اخرون .. ان العدد ضئيل من غير شك ، ولكنهم موجودون هنا ، هؤلاء الفرنسيون الذين لا يستسلمون للدم يراق عبثا وفي غير ما عدل .. ولا بد ان تفاوضوا قبل الخريف القادم ، وستقرون من غير شك ان هاتين الشبيبتين المنتصبة احداهما تجاه الاخرى ، انما تقاتلتا من اجل لا شيء ...

« ان العصاة (٢) لا يستطيعون ان يبادروا الى طلب التفاوض من غير ان يظهر ذلك اعترافا منهم بالعجز ومن غير ان يستسلموا لاهوائنا ... اما نحن ، فنستطيع ان نفعل ذلك من غير ان نضيع كرامتنا .

وانهى مورياك مقاله بقوله :

« هل كانت هذه المظاهرة ضرورية ؟ نعم يا زميلي ، فانه ليس عبثا على الاطلاق ان نستنكر الدم الذي يراق من غير جدوى ودون ما عدل ، بالرغم من انه ما زال يسيل نزولا عند ارادة بعض الرجال . وستعلم يوما ان هذا الاستنكار يهتف به عدد قليل هو الذي سينقذ فرنسا . واذا قدر لشعب الجزائري ان يجد وجه فرنسا مرة ثانية ، فليس ذلك بفضل موليه ولاكوست وبورجيس مونوري واندريه موريس ، وانما بفضل هذا العدد الصغير من الرجال الذين تبتسم لمرآهم يتظاهرون هذه التظاهرة الصامتة ... »

ضد حكم الاعدام ...

صدر اخيرا كتاب هام في مجموعة « حرية الفكر » التي تصدر عن دار كالمان ليفي بباريس ، وعنوان «تأملات في حكم الاعدام» Reflexions sur la peine Capitale بقلم كاتبين كبيرين هما الكاتب الانكليزي ارثر كوستلر والكاتب الفرنسي البير كامو . ويضم القسم الاول تأملات كوستلر عن المشنقة هذه التأملات التي كان الكاتب قد فتح بها عام ١٩٥٥ حملة قومية في انكلترا لالغاء حكم الاعدام ، وقد نجحت هذه الحركة نجاحا جزئيا : فان القانون الجديد المتعلق بالقتل، والذي اقره في شهر آذار الماضي مجلس اللوردات يترك المجال للامل بان يلغي حكم الشنق . اما في فرنسا

ارثر كوستلر

البير كامو

فالامر يختلف ومع ذلك فان كامو يتساءل عن حجة الذين يؤيدون ابقاء الحكم بالاعدام ، لاسيما وان الاعدام يجري الان في السجون ، بصورة سرية ؟ فلو كان المشترع منطقيا لجعل هذه العملية عامة للجمهور ، وعند ذلك قد يعتبر من يفكر في الاجرام بالمستقبل .. ويقول كامو : « الحق انه لم يقم الدليل على ان حكم الاعدام قد دفع اي قاتل الى التراجع عن تصميمه على القتل ، بل لعله لم يكن له الا تاثير السحر على كثير من القتلة ! » ثم يضيف بان المسؤول الاول هو شرب الخمر الذي تقع عليه تبعة ستين بالمئة من اعمال القتل ، فيجب محاربة الادمان على الخمر ..

وقد سبق للنمسا وبلجيكا والدانمرك وفنلندا وايسلندا والبلاد

(١) راجع جريدة .. « اكسبريس » العدد ٣١٤

(٢) من المؤسف ان يطلق فرانسوا مورياك اسم « العصاة » على «الثوار» فيثبت انه هو ايضا لا يزال خاضعا لبعض المفاهيم الرجعية ، بالرغم من تحرره الفكري بالاجمال .

المنخفضة والنروج والبرتغال والسويد والسويس وايطاليا والمانية الغربية وعدة دول في الولايات المتحدة وبعض بلاد الكومنولث ـ سبق لها كلها ان الغت حكم الاعدام . وقد اثبتت الارقام ان الغاء هذا الحكم كان يرافقه دائما نقص في جرائم القتل .

ايطاليا

سيلوني : روائي العدالة والبؤس

سيلوني

حدث هذا في زرويخ ، في العام الماضي ، حين اجتمع الكتاب السوفيات و « الغربيون » للمرة الاولى في اجتماع خاص . وكان انيسموف يمثل رفاقه الروس ، فنهض ليعتذر عن الغائبين قائلا : « انهم موجودون الان في سيبيريا » فاذا بالجميع يتبادلون النظرات مشدوهين .

وكان يرأس الاجتماع رجل ممتلىء الجسم قصيرة ، ذو بسمة موارية ، وعينين مشعتين بصورة غريبة ، هو الاديب الايطالي الكبير اينيازو سيلوني

فتساءل : « في سيبيريا ؟ وما الذي يعملونه في سيبيريا ؟» واجابه انيسيموف ، بسذاجة او بخبث : « انهم يقومون هناك بكتابة ريبورتاجات ، يا سيد سيلوني ! » وعاد الهدوء ، وختم سيلوني المناقشة بقوله ساخرا : « لا تتكلم عن سيبيريا اكثر من اللزوم ... فالحق ان هناك اشياء كثيرة تقال عنها » !

ولا شك في ان سيلوني يعرف ذلك خيرا من سواه : فهو ينتمي الى ذلك الجيل الايطالي الثوري الذي كلفته صداقته لتروتسكي ان يضحي به ستالين ويعذبه موسوليني . وقد واصل سيلوني ، بعد ان نفي من جميع البلاد تقريبا ، صراعه في سويسرا وفرنسا طوال سنوات عديدة ضد الفاشية ومن اجل تجديد الاشتراكية وقد اصبح احد كبار روائيي العصر، لانه ادى « امتحان الرجال الكبار » الذي تحدث عنه جيرودو ، وحاز على شهرة عالمية .

على ان هذا المنفي لم يفقد جذوره قط : ان هذا الابن الفلاح من ابناء جنوبي ايطاليا لم يخن قط الفقراء الذين استمد منهم طاقتين : طاقة على محاربة الظلم، وطاقة على كتابة الروايات .

وقد صدر اخيرا لسيلوني رواية بعنوان « سر لوك » تحتل مكانها في هذا الهم من العدل والبؤس . وكان سيلوني قد تحدث، في مقدمة روايته « فونتامارا » عن وضع اهل بلاده فقال : « انهم فوق ساحة الارض كلها امة وحدها ، وجنس وحده ، وكنيسة وحدها ، ومع ذلك فانه لم ير بعد قط بائسين متشابهين في كل شيء »

مثل هؤلاء هم الذين يحيطون بـ « لوك » بطل الرواية : انهم متناقضون وغامضون . وقد سبق لـ « لوك » ان حكم عليه من قبل حكما ظالما ، وكانت القرية كلها قد شهدت ضده ، ففضى اربعين عاما في الزنزانة ، ثم اعترف رجل اخر ، ذات يوم ، بأنه هو صاحب الجريمة ... وقد اتهم بها لوك من غير ان يجرؤ على الدفاع عن نفسه ... واخلي سراح لوك ، وعاد الى القرية ، وهناك عاش في الارهاب !

وكان ارهابا غريبا : هو الذي يرافق بريئا محكوما عليه . وهكذا هم اهل القرية : انهم لا يحفظون من العدل الا العقاب . وليس بالامكان مؤاخذتهم على ذلك . « فان اقسى الوان الظلم قد فرضت عليهم منذ زمن طويل حتى اصبحت طبيعية كالمطر والريح والثلج .»

على ان رجلا يحاول ان يجلو الخفاء وينفذ الى السر الذي يرفض لوك ان يعترف به . انه ابن فلاحين فقراء اصبح هو ايضا مكافحا اشتراكيا . وقد عرف في ايام حداثته ام المحكوم عليه ظلما ، وكان يكتب لهذه المرأة الرسائل التي كانت ترسلها الى ابنها ، وهكذا استطاع ان يقتنع ببراءة لوك ، فقام بتحقيق واسع في القضية ...

وهنا ، في التفتيش عن هذه الحقيقة ، يتجلى كل فن سيلوني المجبول بالحنان الساخر وبالمرارة . كما ينكشف موقفه الاخلاقي في هذا العجز عن قبول الظلم الفردي . ومن اليسير ان نجد هنا فكرة دستويفسكي القديمة : « اذا وجد في العالم بريء واحد اخضع للذل وحكم عليه ظلما ، فان العالم لن يحتمل ابدا . »

اما ذلك التحقيق المدهش فانه يقودنا الى مساكن اولئك الفقراء الذين قست قلوبهم بسبب الاستغلال والبؤس ، والذين ينبغي ان يتعلموا كذلك ان العدالة ليست هي العقاب . وهنا يظهر وجه لوك المفاجيء الذي يصمت ويرفض ان يكشف عن سره : فهو ، كذلك الاسود الذي اتهم ظلما في رواية فولكنر « الدخيل » ، يعتقد بان على الاخرين ان يقيموا الدليل على براءة ليس عليه هو ان يشير اليها ما دامت موجودة .

اننا نجد نموذج هذا الفقير البائس الشريد لدى عدد من الكتاب امثال فيكتور سرج او بنائيت استراتي ، وهو يأخذ وجه الزنجي الاميركي لدى

صدر عن دار بيروت للطباعة والنشر

معنى القومية العربية

أعمق وأصرح كتاب صدر حتى اليوم في هذا الموضوع

تأليف : الدكتور جورج حنا

فولكنر ، وهو المتشرد العجيب لدى غوركي ، وهو « الكافون » عند سيلوني . انه يطالب بانصاف المحرومين ، وفي ذلك معارضة واضحة للادب الذي يصف ، في آثار توماس مان وجيد ، « انحطاط » عالم بورجوازي وارستقراطي ، وللادب الذي يحبس نفسه في اللعبة الادبية المحضة .

واذا كنا نجد شبها حقيقيا بين سيلوني وغوركي، فذلك لان فن سيلوني، كفن سابقه الروسي ، يحاول ان يجمع النزعة الاخلاقية الى الدفق الملحمي : فكلاهما يخصان هذا الجنس من الناس الذين لم يفكروا قط بان الثورة المجردة ـ ثورة اساتذة الفلسفة ـ تحل جميع المشكلات ... ... وان متشرد غوركي ينتظر ان يرد له اعتباره ، وكذلك محكوم سيلوني افتراء وظلما ...

انكلترا

السياسة العمالية تجاه المستعمرات

لمراسل « الاداب » خالد القشطيني

فرغ حزب العمال البريطاني في حزيران من اصدار الجزء الثالث والاخير من سلسلة كراريسه بهذا العنوان لوضع الاسس النظرية لمعالجة المستعمرات . وقد تناول الكراس الاول المجتمعات المتعددة الاجناس ، او الجمعية كما آثروا تسميتها ، وهي بصورة خاصة وسط وشرق افريقيا. وتناول الكراس الثاني المساعدات الاقتصادية ، والثالث الاقاليم الصغيرة التي تشمل عدن وزنجبار وقبرص ومالطه .. الخ . وستوضع هذه الاسس تحت مناقشة الاعضاء في المؤتمر القادم لابرامها .

واذ ينشغل الباحثون بدراستها حتى ذلك الوقت فان القاء نظرة عليها لا يخلو من فائدة ، ذلك ان من الممتع دائما متابعة الاشتراكيين في محاولاتهم للتوفيق بين ولائهم لانسانية عالمية ومصالحهم الوطنية ـ ولاسيما عندما يكونون انكليزا . « ايقتصر الايمان الاشتراكي بالعدل الاجتماعي والتمثيل الدمقراطي والشرف الانساني على بريطانيا فقط ام اننا نطالب به سوية لشعوب المستعمرات ؟ » هذا ما تتساءله الكراسة وطالما تساءلناه قبلها .

وسرعان ما نجد انفسنا في اعرض مشكلة انسانية ، مشكلة الملونين . الحل الذي يراه العمال لافريقيا هو ان تطعم شعوبها بمصل الوطنية فيبدأ !الفرد يشعر بانه كيني او اوغندي وليس ابيض او اسود . اما كيف يمكن اجراء هذا التطعيم فهو سؤال تطرحه الكراسة نفسها بكل يأس . في افريقيا لا يوجد اي تاريخ مشترك او خطر خارجي او نزاع دولي يجعل الملون يقف جنب الابيض تحت عاطفة الشعور الوطني . ويقدم لنا البحث تحليلا تاريخيا لنشوء التمييز اللوني هناك وكيف ان سيادة الرجل الابيض انما جاءت نتيجة للتباين المالي والمادي الهائل بينه وبين الزنجي . ويشير الى المشابهة بين هذا الموقف وموقف الطبقة العاملة في انكلترا حتى سنين قريبة عندما ساد تمييز اجتماعي بينها وبين الارستقراطية والبرجوازية نتيجة للتباين المادي بينهما . وهنا افلتت على حزب العمال النتيجة المنطقية لهذه المقارنة . وهي ان ما يحتاجه الزنوج في افريقيا هو نفس ما احتاجه العمال في بريطانيا : كسر شوكة التباين المادي. ما يحتاجه الزنوج هو الاشتراكية وليس الوطنية . هذه النقطة غاية في الاهمية لان العمال خولوا انفسهم مسئولية انشاء الدمقراطية كشرط لاعطاء الاقليم حق تقرير المصير . والقوا التبعة على الحكومة البريطانية لتركها جنوب افريقيا عام ١٩٠٦ قبل ضمان الدمقراطية فيها .والدمقراطية هنا هي ضمان حقوق الاقليات بما فيهم البيض والعرب وحقوق الزنوج في التصويت العام بقوائم موحدة وتقرير شئون بلادهم .

اما عن الاقاليم الصغيرة والتي تبلغ ٣٣ مستعمرة فتختلف احوالها كثيرا ، ولهذا قرر لها حلول مختلفة وهي : اما ان تندمج مع بعضها لتكون اتحادا كما في جزر الهند الغربية ، او تندمج مع دولة اخرى كما في اندماج قبرص مع اليونان وهونغ كونغ مع الصين وعدن مع اليمن . ولمن لم تشأ الاندماج فلها حق البقاء كدومنيون تترك شؤونه الخارجية والدفاعية لدولة اخرى ، بريطانيا او غيرها . وعلى العموم لكل اقليم حتى ولو لم تتجاوز نفوسه ١٣٠ شخصا كجزيرة بتكرن ، ان يقرر مصيره بنفسه . الى هنا يظهر حزب العمال بمظهر الوريث الجدير بمبادىء الانسانية والحرية . ولكننا عندما نعيد قراءة الفقرات ينزل علينا دوش الماء البارد ! كل هذه الاحلام متوقفة على اثبات الشعوب جدارتها بالحكم الدمقراطي . لا اعتراض على هذا الشرط مطلقا ، ولكن من يثبت لنا ان هذا الحكم الدمقراطي نفسه لن يجر على الشعوب حنق حزب العمال ؟ هذا ويدخل العمال انفسهم في دائرة مفرغة عندما يقررون ان منح الاستقلال يتوقف على الاتفاق مع الشعب المعني قبل حصوله على الاستقلال !

اما عن المحميات العربية ، حيث لا يجد العربي في بعضها انعتاقا من مولاه الا بعد احتضان قصبة العلم البريطاني والاستفاثة بحكومة صاحبة الجلالة ، فلا ذكر لها في البحث . الظاهر ان استقلالها امر مفروض لدى حزب العمال ، وحتى لدينا .

لم يكن بمستطاع حزب العمال ان يفلسف سياسته تجاه المستعمرات تحت ظروف خير من هذه الظروف . لقد قام باتصالات واسعة مع اهالي الاقاليم المعنية وذوي الشأن وكان من الممكن جدا ان تنتهي الدراسة بنتائج اكثر شجاعة ووضوحا . فالدراسة لم تتنه بنظرية شاملة . ولا عيب في ذلك ما دام الناس هنا يرتابون ويتوجلون من النظريات ويحسبونها من دعارات الفرنسيين والالمان . ولكن النقطة هي ان الخطوات العملية التي وضعوها قد تثبت غير عملية مطلقا . فان تعليق المصير على اثبات جدارة الحكم الدمقراطي وترك هذه الجدارة لروية السلطة التنفيذية يقودنا الى نفس المأساة التي تصبح فيها امثلة ومباديء البحاث والمصلحين كرات يلعب بها محترفو السياسة .

صدر عن دار بيروت للطباعة والنشر

شوبرت

الكتاب العاشر من
مجموعة اعلام الموسيقى

ترجمة : بهيج شعبان